سومرست موم فى التسعين

لعل الشيخوخة هى أقسى مرحلة فى حياة المرء ، بل لعل هذه القسوة تزداد حدة كلما كان المرء فنانا او كاتبا او شاعرا ، او مشتغلا بعمل آخر من اعمال الذهن . وكثيرون من الفنانين والكتاب والشعراء مروا بهذه المرحلة، لكن القليل منهم من سلم من هواجسها وويلاتها .

ولعل الكاتب القصصى سومرست موم من هذا القليل الذى يحاول ان يستمتع بشيخوخته ، وان ينسى انه شيخ طاعن فى السن . ومع هذا فان للسن حكما كما يقولون ، فقد احتفل بعيد ميلاده التسعين فى الخامس والعشرين من يناير الماضى ، لكن احدا من زائريه لم تفته ملاحظة ما اعتراه من وهن عام وضعف فى السمع والذاكرة على السواء ، كما سنتبين بعد قليل من التحقيق الذى كتبه الصحفى الانجليزى **ستيفن كولتر** ونشرته جريدة « **ذى صنداى تايمز** » .

وحياة سومرست موم سجل حافل بالمغامرة والتجربة والمجد . وقد سجل الكثير منها فى كتابه « **الخلاصة** » الذى الذى نشر منذ سنوات . غير انه لم يكن يقصد من « الخلاصة » الترجمة لحياته ترجمة ذاتية بالمعنى المفهوم ، وانما قصد به ان يشمل القضايا الفكرية والفنية التى شغلته طوال حياته . ومن ثمة فهو لا يقف كثيرا أمام نشأته وسنواته الأولى ، وان كان يذكر انه فقد ابويه فى سن الطفولة ، وان اسرته احترفت القانون والمحاماة اكثر من قرن كامل ، وان عمه ــ الذى كفله بعد وفاة أبيه ــ اراد له ان يتخرط فى سلك الكنيسة ، لكنه رفض، فكان ان اختاروا له دراسة الطب التى لم تكن تروق له فى قليل او كثير .

اما الذى راقه وملك عليه اهتمامه منذ طفولته فهو الكتب والقراءة التى وجد فيها راحة ومتعة كالتى يجدها البعض فى لعب الورق . فقد عكف على الكتب يلتهمها التهاما .. وبعد فترة أحس برغبة تدفعه الى الكتابة ، فبدأ بمعالجة المسرحية عام ١٨٩٨ ، اذ خيل اليه فى تلك الفترة ان كتابة الحوار

ايسر من كتابة الموضوع الانشائى .

وفى الفترة الواقعة بين عامى ١٨٩٨، ١٩١٤ كان قد كتب عشر مسرحيات لم تلق من النجاح ما كان يرجوه لها فقد هاجمه النقاد ولقى اعراض بعض اصحاب المسارح ، فكان ان كف نهائيا عام ١٩٣٣ عن الكتابة للمسرح . ثم اتجه الى القصة متأثرا فى البداية بالكاتب الفرنسى جى دى موباسان الذى قرأ له فى السادسة عشرة من عمره . لكنه ـ اى موم ـ يعترف بانه اخفق فى بعض قصصه ، معللا ذلك بظروفه المادية الشاقة التى كانت تحتم عليه فى بدء حياته أن يكتب ليعيش ، وأن ينشر ليأكل ويشرب .

ولا ينسى موم فى حديثه عن قضايا الفن القصصى ان يذكر ملاحظة جديرة بالاهتمام تتعلق بكتابة القصص التاريخية . فهو يحذر الكتاب الشبان من الخوض فى مثل هذه الموضوعات التى تتطلب دراية وخبرة لا تتوفران الا فيمن تقدم فى السن وحنكته التجارب ، لكنه يصرح للشبان بأن يكتبوا عن اشخاص أو أماكن لمسوها وعرفوها عن قرب !..

وتعرض موم للقصة القصيرة فى كتابه القيم هذا فقال : انه لا يغالى اذا قال ان ساعة من الوقت يقضيها مع أى شخص تكفى لأن تلهمه موضوع اقصوصة كاملة . ومن ثم فهو يعجب لأن كثيرين من الكتاب يجهدون انفسهم فى هذا السبيل بلا داع . ثم تحدث عن اتجاهه ومنهجه فى كتابة القصة القصيرة فقال :

« لعله من سوء الحظ ان اكتب هذه الأقاصيص على طريقتى الخاصة فى الوقت الذى كان فيه كبار الكتاب فى انجلترا يكتبون على طريقة تشيكوف . والحقيقة أن تشيكوف كاتب قصة ممتاز ، لكنه لم يكن معصوما عن الخطأ . ولقد فشل مقلدوه فى استيحاء خاصيته البارزة فى أقاصيصه ، وأعنى خاصية الغموض وعدم الاكتراث . غير أن الأقصوصة عندى هى موضوع واحد محبوك، ذو بداية ونهاية . ولعل هذا كان السبب فى أن فرنسا قدرت أقاصيصى أكثر مما قدرتها انجلترا » .

وسومرست موم مولع بالأسفار منذ صغره . فهو يذكر كيف أنه أعد برنامجا ضخما لتعلم اللغات الأسبانية والايطالية واليونانية القديمة والعربية كى يقرأ امهات الكتب فى كل منها ، **وكيف أنه كان يرجو انفسه أن يقيم فى القاهرة زمنا حتى يتمكن من اللغة العربية ليقرأ بها كتاب « الف ليلة وليلة » الذى قرأه مترجما وأعجب به .** وقد أفادته هذه الأسفار رغم ما اعترضه ـ فى كثير منها ـ من أخطار ومتاعب . لكنه يعترف انها جعلت منه رجلا آخر وعلمته التسامح والاحتمال واستقلال النفس ، كما امدته بمادة قصصه ، وهى مادة غزيرة لا يعدم القارىء لها ان يجد ظلالا كثيفة من ايطاليا واسبانيا وأمريكا والصين وبورما والهند وجزر الباسفيك وغيرها من البقاع التى زارها موم واقام بها .

وموم ـ عدا مقالاته ودراساته الكثيرة ـ ثلاث مجلدات من القصص القصيرة ، ونحو ١٢ رواية اشهرها : « ليزا أوف لامبث » ، « الرق البشرى » ، « حد الموسى » ، « القمر وستة بنسات » ، وكذلك اربع مسرحيات

مشـــهورة منها : « الرســـالة » ، « الدائرة » .

تعود بعـد هـذا التحقيق المسهب الذى كتبه ستيفن كولتر اثر زيارته لفيللا ماركيز التى تطل على الريفييرا الفرنسية ، حيث يقيم الآن الكاتب الشيخ ، وحيث يقضى هذا الشتاء لاول مرة فى حياته . وفى هـــذا التحقيق صورة حية لمرحلة الشيخوخة كما يمر بها كاتب معمر ذاع صيته فى العـالم منذ نصف قرن ، وبيع من كتبه حتى الآن اكثر من أربعين مليون نسخة .

ونتقل لك فيما يلى نص حـديث كولتر مع شىء من الاختصار :

« يقضى موم هذا الشتاء لاول مرة فى حياته بفيللا ماركيز على شـــاطىء الريفييرا الفرنسية ، حيث اعتـاد أن يجلس فى غرفة الاستقبال الرئيسية على اريكة كبيرة خضراء اللون ، وقد تقضن وجهه وحفل بالتجاعيد ، بينما ترتسم على شفتيه ابتســامة توحى للنـاظر بانه امام رجل شرقى معمر ، ولا غرو فروح الشرق متغلغلة فى موم.

وقد حل عيد ميلاده التسـعين وراح يستقبل زواره ومهنئيه ويقدم اليهـم يده على الطريقة الفرنسية ، ويحجل بعض الشىء حين يمشى ، لكنه لا يتوكا على عصا . وهو يرتدى سترة قديمة بنية اللون مما يستعمله الرياضيون ، وينطلونا من الفانلة ، وتتسـدل حول عنقه كوفية حمـــراء ، تلمح تحتها قميصا بلا ياقة ، لكنه اعتـاد أن يغير ملابسه وقت تناول الطعام .

ورغم أن موم فى التســعين الا انه يبدو رجلا حساسا لم يفقد ذكاءه او مرحه او اعتداده بنفسه . وهو يبـذل كل ما بوســـعه حتى لا يخيب ظن زواره . كما انه لم يزل يرد على ٥٠٠ خطاب فى الاسبوع من قرائه فى جميع انحاء العالم ــ واكثرهم من الشبان ــ يتولى هو بنفسه التوقيع عليها .

وقد تحدثت معه عن اسفاره التى قام بها فى اوربا فى الصـيف الماضى . وفجأة قال متعجبا :

« لـــكننى احب الشرق . اننى لا استريح ولا اســـعد الا حين اكون فى الشرق . والشىء الوحيد الذى يمنعنى من أن اكون هناك الآن هو اننى ... فى الستين ... »

وعندئذ تلعثم الرجل فصـاح آلان سيرل صـــديقه ورفيق حيـــاته : **« ... التسعين »**

فقال موم : **« ... التسعين ... ثمة اماكن احب الاقامة فيها ، واعرف اننى لو فعلت وذهبت اليها سأموت.. أريد أن أذهب الى كابرى لاننى بدأت حياتى هناك .. ان اطبائى يقولون : اذا اردت أن تذهب فلك ما شـــئت لـكنك لن تعـــود .. ياله من موقف صعب ! »** .

قلت ان من العجيب ان اسمع رجلا فى التسعين يظل راغبا فى ان يفعل هذا وذاك ، فضحك موم قائلا :

« لكننى سعيد اذ رايت كل هاتيك الأماكن منذ ستين عاما . لقد طفت بالعالم كله ، ولقد كان الناس فى جميع انحاء العالم يبذلون كل ما بوســعهم كى يجعلوا الحياة هنيئة من اجلى » .. وعندئذ تحشرج صوته وبدا مؤثرا ..

وحين سألته عن اى مؤلفاته يريد ان يذكره الناس به ، قال : « **كعك وخمر** »

قلت : لماذا هذا الكتاب ؟

قال : لاننى استمتعت بكتابته للغاية .

.. كانت الحجرة الكبيرة فى فيللا ماركيز عامرة بالشمس ، وبأشياء اخرى بديعة ، منها ساعات اثرية وطيور من الصين اليابان ومخمل من جنوا وصقر ضخم يقف على المدفأة وسجاد من الاوبيسون مفروش على الارض.. وفى هذه الحجرة يقضى موم معظم وقته . ويومه بسيط . ففى الثامنة يحتسى القهوة فى السرير ، ثم يتمشى فى الحديقة اذا كان الجو ملائما ؛ كما أنه يحب المطالعة فى الصباح . وقد اعتاد ان يشرب كأسا من الويسكى فى الحادية عشرة ، واخرى من المارتينى « نوع من البراندى » قبل الغداء . ثم ينام بعد تناول الغداء ويستيقظ بعد الظهر ، ويخرج للتريض ، ثم يعود فيقرا مرة اخرى حتى السادسة مساء ، ويتناول كأسا اخرى من الويسكى ، ثم يتعشى مبكرا ، وما أن تحل الساعة الثامنة والنصف حتى يكون فى سريره .

سألت موم عن الكاتب الذى أمتعه كثيرا فى شيخوخته ، فقال :

« جوته ، أوه ، نعم ، بالالمانية . لقد تعلمت الالمانية فى هيدلبرج . فقد ذهبت الى هناك حين مات ابواى وكنت و .. و .. و .. »

وعندئذ تعثر لسانه ، ورفع ذقنه محاولا أن يتمالك نفسه حتى تزول التأتأة . ثم قال : « ... وحيدا » . وهو يخشى ثلاثة حروف لايجيد النطق بها وهى : اللام والميم والباء المشددة . ثم استطرد قائلا :

« لقد كانت تاتاتى تعذبنى طوال حياتى . انت لا تدرى كم من القصص حبستها فى نفسى لاننى خشيت أن تفهمها تاتاتى » !

.. ثم سألته عن رايه فى حياته ، وهل تمكن من السيطرة على مصيره ام لا ، وعندئذ نظر الى وقال بحماس:

« أوه ، لا ـ أوه ، لا ـ أوه ، لا . كان كل ما فى حياتى من باب القسمة والنصيب . لقد لعب الحظ دورا عظيما فى حياتى ، خيرا وشرا » !

وعقب سيرل بقوله : « انه يقول انه كان يرتكب الخطأ تلو الخطأ » . فقال موم:«لا استطيع أن اسمع. فهو يعرف عنى أكثر مما أعرف »

وعندئذ اشرق وجهه .

ان ضعف سمعه يغمه ويحزنه . فهو قد جمع ثروة كبيرة عن طريق السمع . وهو مصاب ايضا بضعف الذاكرة . فانت اذا ذكرت له قصةمن تاليفه الآن تساءل وقال : « لا ادرى ما تقول .. ماذا تقصد ؟ » ـ فهو يسأل سيرل مثلا :

« متى كتبت قصة الامطار يا الان؟»

وقد ذكر الان فى معرض حديثه عن صديقه انه أصبح موضوع عدد من الدراساتالجامعية ، وأن عدة درجات علمية منحت لدراسات عنه فى جامعة طوكيو ويلوهارفارد . ثم روى نادرة

ضحك لها موم ، وملخصها أن امراة التقت بموم ذات مرة فى مصعد ، فقالت له : « انت سومرست موم » ، انى اعرفك من صورك » فقال موم : « ارجو أن أكون أحسن مما عليه فى الصور » . وعندئذ قالت المراة : « اوه ، لا ، انك أسوأ » !

.. وبعد فترة قال موم فجاة :

« سالتنى الآن أين أريد أن ادفن . واقول لك انى أريد أن ادفن فى كانتربرى » (الكاتدرائية المشهورة) وعندئذ استدار الان سيرل ناحيتى قائلا : « **لا ادرى ما السبب ، فهناك قضى صباه ولم ينعم بالسعادة** » واستطرد موم : « **لكن أحدهم اعترض على أن ادفن هناك** » .

وعندئذ تدخل سيرل ونفى واقعة الاعتراض ، لكن موم ظل متشككا برهة ، ثم قال متسائلا : « **امتاكد أنت يا الان ؟** » . واجاب سيرل بالايجاب ،

بينما كان موم ينظر اليه فى شغف وهو ينهض ويمد عنقه . ثم جلس واخلد الى الصمت . وكان يبدو انه نسينا تماما . ولعله كان يسترجع أمرا قديما غاب عنه . وبعد برهة عاد فابتسم قائلا :

« آه لو تحقق لى ما ارجوه ودفنت بكانتربرى ، عندئذ ساكون سعيدا غاية السعادة » .

وبهذه العبارة انهى الصحفى الانجليزى تحقيقه الذى حاول أن يرسم فيه صورة لشيخوخة رجل شغل عالم الأدب ـ وما يزال ـ بثراء انتاجه وتنوعه . لكن ، هل روت الأعوام التسعون ظمأ موم ؟ .. لقد اجاب هو نفسه من قبل فى خاتمة كتابه السابق بقوله :

« لا أود أن اعيش حياتى مرة ثانية ، فقد شقيت فيها اكثر مما سعدت » !

زوايا وانباء :

● **وليام ماكبيس ثاكرى (١٨١١ ـ ١٨٦٣) من كبار كتاب القصة الانجليز فى القرن الماضى . . قالت عنه زميلته الروائية جورج اليوت عام ١٨٥٧ انه من اعظم الروائيين فى قصرها . وقد كان أول روائى انجليزى يتاثر ببلزاك ويحتذى طريقته فى الكتابة ، اذ يصور الحياة الاجتماعية فى عصره بطريقة واقعية مفصلة ، وكان يعتبر فن القصة متعة شعبية ينبغى أن تكون ذات مغزى اخلاقى . لكنه مع ذلك كله عاش زمنا غير معترف به . فقد هاجمه النقاد فى هذا القرن هجوما عنيفا ، واسقطه البعض من عداد الكتاب ذوى المستوى الأدبى الرفيع والأسلوب الجزل الرصين ، بدعوى أنه مسف فى واقعيته ، وأن اسلوبه حفل بالسوقية والابتذال .**

ومنذ اسابيع قام جيوفرى تيلوتصن بالاشتراك مع زوجته باعادة طبع رواية

ناكرى المعروفة : « سوق التباهى » ، وزوداها بالرسوم والشروح والصور ، وصدراها بمقدمة طويلة ، كما نقحا اسلوبها . وقد صدرت هذة الطبعة عن دار ميثوين للنشر التى صدر عنها ايضا كتاب بعنوان : « ثاكرى الروائى » استقل بتاليفه تيلوتصن .

● صدرت عن دار كاب المجموعة الكاملة لقصص وروايات الكاتبة الامريكية **كاترين آن بورتر** . وقد ولدت كاترين عام ١٨٩٤ بولاية تكساس ، وعملت بالصحافة والتدريس ، كما قامت بسياحة طويلة فى أمريكا والمكسيك واوربا خرجت منها بعدد من القصص والمقالات .

ولكاترين اسلوب خاص فى كتابة القصة يميزها من معاصريها كهمنجواى وفوكنر وفرجينيا وولف . وقد لخصت مذهبها فى الكتابة بقولها :

« ان اى عمل فنى حقيقى ينبغى أن يكسبك الاحساس بالهادئة ، وطهارة عقلك وخيالك ، ولا يتاتى ذلك الا من خلال نهاية تكون محتمة الوقوع والتصديق ... ولست ابدا قصة لا اعرف نهايتها . فانا دائما ابدا بكتابة السطور الأخيرة او الفقرة الأخيرة او الصفحة الاخيرة ، ثم اعود الى البداية فاكتبها . اننى اعرف الى اين اذهب.. اعرف هدفى . اما طريقة الوصول الى هذا الهدف فهى من فضل الله على .» !

● **صرح الروائى الانجليزى جراهام جرين بانه مشغول الآن بكتابة رواية تدور احداثها فى الكونغو وهايتى ، وقد فرغ من اختيار عنوان لها ، وهو « قضية خاسرة » . اما زميله انجوس ويلسون فلم يضع بعد عنوان روايته الجديدة التى يكتبها الآن ، لكنه يقول انها تدور حول فكرة الانحلال وتاثيره على امراة نشأت وتربت فى الريف ثم انتقلت لتعيش فى المدينة .**

● **السراى** .. عنوان رواية جديدة صدرت للكاتب الفرنسى كلود سيمون الذى يعده بعض النقاد أعظم موهبة قصصية ظهرت فى فرنسا بعد الحرب الأخيرة . وقد اصدر من قبل روايتين، اما « السراى » فتدور احداثها فى اسبانيا .

● **لم تكد بريطانيا تفرغ من فضيحة عام ١٩٦٣ التى راح ضحيتها عدد من الساسة والوزراء حتى صدرت للكاتب بول جونسون رواية جديدة عن دار ماك جيبون بعنوان: «انجلترا الطروب» ، وقد تناول فيها موضوعا مشابها لموضوع كريستين كيلر .**

● صدرت عن دار الدولة لنشر القصة والشعر فى موسكو العدد الخامس من مجموعة « **منتخب الشرق** » ، ويضم قصصا وروايات وقصائد لواحد وعشرين اديبا من مختلف اقطار آسيا وأفريقيا ، **ومن بينها الجمهورية العربية المتحدة وسوريا واندونيسيا .**

● **فى العدد الأخير من مجلة « الادب السوفييتى» مجموعة لم يسبق نشرها من الرسائل الخاصة التى كان الكاتب القصصى مكسيم جوركى يتبادلها مع زملائه من الكتاب . وقد ذكر المحرر فى تقديمه للرسائل أن جوركى خلف**

حصيلة ضخمة منها ، وان المعروف من رسائله حتى الآن يربو على الفى رسالة ، اذ كان حريصا على الرد على كل رسالة تصله مهما يكن شأن صاحبها او مكانته . ولم يكن فى أوج شهرته يبخل على من يراسله بالنصيحة والرأى والنقد ، فقد كان بالنسبة لزملائه بمثابة المعلم والصديق ، يتقبل منهم النقد بصدر رحب ، ويبثهم نصائحه وآراءه فى أعمالهم بكل ما عرف عنه من صراحة واخلاص . هذا وقد صدر مؤخرا المجلد السبعون من سلسلة « التراث الادبى » التى تنشرها الدولة فى موسكو ، ويضم نحو ٥٥٠ رسالة لجوركى لم يسبق نشرها . ونقتطف هذه الفقرة من احداها ، وقد بعث بها الى زميل له يدعى ميخائيل بريشفين بتاريخ ١١ فبراير عام ١٩٢٦ ففيها لخص رأيه فى نفسه وفى عملين من انتاجه .. يقول :

« فى هذا العام ، او فى العام القادم ، تحل ذكرى مرور خمسة وثلاثين عاما على اشتغالى بالكتابة ، الا انى لا أعرف حتى الآن كيف اكتب ، فما زلت اتعلم وانى ارسل لك مع هذا كتابا آخر لى (هو اسرة ارتامونوف كما جاء فى الهامش) ، كتبته عقب صدور مجموعة قصصى ، فارجو ان تطالعه . ذلك لانى احببته حين كنت اكتبه ، لكننى حين نشرته لم أستطع ان اقراه ... »

● صدرت عن دار ماك جيبون مجموعة قصصية بعنوان : « **احسن القصص القصيرة فى امريكا** » ، وتضم قصصا لآرثر ميللر واردين شو وجون ابديك ، والجدير بالذكر ان ثلاثتهم من كتاب المسرح المعروفين .

● **أصدرت دار فابر الانجليزية مجموعة قصصية بعنوان : « قصص من جنوب أفريقيا » وقد جمعها وقدم لها الكاتب الافريقى دافيد رايت ، وتضم ١٧ قصة لكتاب من ابناء جنوب القارة . وقد علق الناقد كيث واترهاوس على المجموعة فقال ان قصصها تكاد تنحصر فى أربعة موضوعات رئيسية هى : اعتزاز المستوطن القديم بنفسه ، سخرية ابن البلد الذى يعيش فى المدن الكبيرة ، الاحساس بالوحدة الذى يعانيه المواطنون فى مناطق الرعى ، التوتر الناتج عن التمييز العنصرى .**

● يحاول بعض الكتاب الشبان ، فى امريكا لفت الانظار اليهم بتناول قصص الشذوذ الجنسى . وقد كانت آخر « عينة » لهذا الطراز قصة بعنوان : « **مدينة الليل** » ، وفيها تسجيل حى لرحلة داخل عالم الشذوذ الجنسى فى المدن الامريكية الكبيرة ، ومؤلفها كاتب شاب لم يتجاوز الثلاثين يدعى **جون ريشى** ، وقد لقى هجوما عنيفا من قبل النقاد الذين اجمعوا على ان كتابته مقززة ومكشوفة ، وانها ليست من الفن فى شىء .